(١٦) أفغانستان : استمرار الأزمة

القرضاوى فى قلب الحدث الأفغانى :

- التماثيل حرام لكنها لا تهدم إلا إذا تسببت فى فتنة الأمة.
- اتجه الإسلام إلى تحرير البشر أولاً ولم يهتم الفاتحون بهدم تماثيل ماقبل الإسلام.
- لا أحسب مصرياً واحداً ينظر إلى تمثال رمسيس أو آثار الفراعنة نظرة عبادة أو تقديس.
- علماء طالبان طيبون لكنهم يعيشون فى الماضى ولا ينتمون إلى الحاضر.
- نفت طالبان تجارتها فى الأفيون وأصدرت فتوى بتحريمه.
- تحريم تعليم البنات إشاعة ، ومنع تعليمهم يعود لأسباب مادية.
- (١٢٠٠) طالبة تدرس الطب والأساتذة منهم إنكليز.
- أناشد الأمم المتحدة أن تهتم بالبشر مثلما اهتمت بحماية التاريخ.

obeikandl.com

(١٦) أفغانستان : استمرار الأزمة

(٤٠٠) طفل أفغانى يموتون يومياً من البرد.

أطفال أفغانستان وأطفال فلسطين وأهلها يعانون الحصار.. فمن ينقذهم ؟

" بناءً على استشارات فقهية أجراها أمير الإمارة الإسلامية فى أفغانستان (القائد الأعلى لحركة طالبان) الملا محمد عمر، وعلى فتوى العلماء وقرار المحكمة الأفغانية العليا: تدمر جميع التماثيل فى مختلف مناطق البلاد.." ولماذا ؟

" لقد استخدم الكافرون هذه التماثيل فى السابق أصناماً وآلهة كانوا يعبدونها واليوم تحظى التماثيل نفسها بالاحترام ويمكن أن تعود من جديد أصناماً تعبد، بينما العبادة لا تكون إلا لله الواحد الصمد".

هذا هو نص مرسوم حركة طالبان التى تحكم أفغانستان والذى أقام استنكار علماء الدين الإسلامى والمثقفين فى أنحاء العالم.. فى قلب الحدث كان د. يوسف القرضاوى الذى طار على متن طائرة قطرية خاصة إلى قندهار موفوداً من دولة قطر رئيس منظمة المؤتمر الإسلامى، ومعه عدد من علماء الدوحة، وقد لحق بهم وفد مصر الذى ترأسه فضيلة د. نصر فريد واصل مفتى الديار المصرية، الذى كلفه الرئيس محمد حسنى مبارك بعد مناشدات دولية له بأهمية تدخل مصر.

مهمة الوفد الإسلامى

فى حديثه للأهرام العربى حدد د. القرضاوى مهمة الوفد :

لم نذهب من أجل التماثيل، فقد علمنا أن طالبان انتهت من تدميرها أو تدمير (٩٠٪) منها قبل أن تقلع الطائرة من الدوحة، لكننا ذهبنا من أجل الأقليات الإسلامية فى آسية، ومن أجل مساندة المسلمين فى أفغانستان ومناصحتهم فى قضايا التعليم والإعلام والاقتصاد.. بصورة عامة لقد ذهبنا من أجل الحوار معهم.

● **لكن ما هو موقف الإسلام من قضية التماثيل أصلاً ؟**

– للإسلام حكم معروف فى إقامة التماثيل أو صنع (الصور المجسمة) وهو التحريم، الذى صحت به أحاديث نبوية كثرت واستفاضت واتفق عليها علماء الأمة السابقون، وإن اختلفوا فى الصور غير المجسمة (أو التى لا ظل لها حسب تعبيرهم).

● **هل ينسحب ذلك الحكم على كل التماثيل الموجودة الآن فى العالم الإسلامى؟**

– لا. هذا الحكم هو فى التماثيل التى يصنعها المسلمون بعد أن منَّ الله عليهم بالإسلام، وعرفوا منه الحلال من الحرام.. أما التماثيل التى صنعها الأقدمون قبل الإسلام، فهى تمثل تراثاً تاريخياً، ومادة حية من مواد التاريخ لكل أمة.

تماثيل ما قبل الإسلام

● **كيف يتعامل المسلمون مع هذه التماثيل التى صنعت قبل الإسلام ؟**

– لا يجب تدميرها ولا تحطيمها، باعتبارها محرمات أو منكرات يجب تغيرها باليد، بل هى دلالة على نعمة الله تعالى على الأمة التى هداها الله للإسلام، وحررها من عبادة الأصنام.

● **هل هناك دليل يُعَضِّد هذا الرأى ؟**

لقد فتح المسلمون أفغانستان منذ القرن الأول الهجرى، وكانت فيه هذه الأصنام، ولم يفكروا فى إزالتها وتدميرها، وهم خير القرون من الناحية الدينية، كما كانوا أعظم قوة عسكرية فى العالم يومئذ، ومع ذلك وسعهم السكوت على هذه المخلفات الأثرية القديمة، فإن المهم عندهم هو تحرير العقول والأنفس من عبادة الله تعالى.. كذلك فتح المسلمون مصر فى عهد عمر بن الخطاب، وفيها معابد وآثار وصور شتى، فلم يشغل عمرو بن العاص ومن معه من الصحابة أنفسهم بإزالة آثار الوثنية المصرية فى المعابد، بل اتجهوا إلى تحرير البشر أولاً وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد. كما أنه لا يخلو بلد فتحه المسلمون من بلاد

الحضارات القديمة من وجود آثار جاهلية فى معابده وقصوره التاريخية، مع هذا لم يهتم المسلمون الفاتحون – وهم خير منا اليوم – بمحوها وإزالتها، كما يفكر بعض المسلمين اليوم.

الهدم حين الفتنة

● فى رأيكم متى يحق لأحد هدم التماثيل والآثار التى أقيمت قبل الإسلام؟

- يطلب هدم التماثيل وأشباهها إذا كانت من ورائها فتنة تخاف على أبناء الأمة، فالواجب حماية الأمة من الفتن ما ظهر منها وما بطن، فلو كانت هذه التماثيل فى أفغانستان أو غيرها من بلاد المسلمين تُشَكِّل خطراً عليهم فى عقيدتهم، ويُخشى أن تفتن الناس عن عقيدة التوحيد، وتردهم إلى الوثنية القديمة التى حررهم الإسلام منها، لقلنا : يجب هدم هذه التماثيل وإزالتها، حفاظاً على عقيدة الأمة وتوحيدها.. ولكم من المؤكد أن المسلمين اليوم فى أفغانستان لا ينظرون إلى هذه التماثيل إلا أنها من آثار إبداع الأقدمين فى فن (النحت) ونبوغهم فيه.

تمثال رمسيس أثر فرعونى

● وكيف ترى (تمثال رمسيس) المنصوب فى أحد ميادين القاهرة اليوم ؟

- ينظر المصرى المسلم إلى هذا التمثال إلى أنه مجرد أثر من آثار الحضارة الفرعونية القديمة التى تفننت فى صناعة هذه التماثيل، ولا أحسب أن هناك مصرياً واحداً ينظر إلى هذا التمثال وغيره فى الجيزة أو الأقصر أو الكرنك أو غيرها نظرة فيها رائحة للعبادة أو التقديس.

● كيف رأيت قرار طالبان بتدمير التماثيل الأثرية ؟

- قبل أن تتم عملية التدمير نصحت إخواننا فى (حركة طالبان) أن يراجعوا أنفسهم فى هذا القرار الذى اتخذوه، لعظم خطره وبعد أثره من عدة نواح :

الأولى: أنه يتضمن الإنكار على من سبقهم من المسلمين فى أفغانستان من عصر الفتح الإسلامى إلى اليوم، وقد كان فيهم العلماء الربانيون والرجال الصالحون، ولم يزيلوا هذه الأشياء التى يريدون إزالتها اليوم، وقد كانت موجودة من غير شك.

والثانية: أنه يُخرج كثيراً إخوانهم المسلمين فى أقطار شتى عندهم آثار مثل التى عندهم، ولم يفكروا مثل تفكيرهم، ولهذا أحدث قرارهم هذا ضجة فى العالم الإسلامى كله، وقوبل بدهشة واستنكار.

والثالثة: أن العالم يعتبر هذه الآثار القديمة من الكنوز البشرية النفيسة التى لا تقدر قيمتها ولا بمليارات الدولارات، كما يعتبرها ملكاً للبشرية جمعاء، ولهذا تسارع منظمة اليونسكو بالإسهام فى إنقاذ ما يتعرض منها لخطر التلف أو الغرق، أو عوامل الطبيعية، أو غير ذلك، حماية للتراث الحضارى الإنسانى.

● **كيف تقدر ثورة العالم ضد طالبان بعد هذا القرار ؟**

- يثير هذا القرار الخطير العالم ألإنسانى كله ضد طالبان، ويعتبر حركتهم خارج إطار العصر، ويقود حملة تشنيع عليهم، بالإضافة إلى الحملات القائمة بالفعل، والعاقل لا يفتح على نفسه باب شر يمكنه إغلاقه بشيء من الحكمة.

سد الذرائع

● **ما هو التأصيل الفقهى لدعوتك لطالبان إلى عدم اتخاذ خطواتها هذه؟**

- شرع الإسلام قاعدة هامة هى (سد الذرائع)، وقال تعالى فى كتابه: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فقد نهى الإسلام المسلمين عن سب الأصنام، حتى لا يرد عليهم المشركون بسب الله تبارك وتعالى... ومن المعروف لدى أهل العلم أن النبى ﷺ ترك بناء الكعبة على قواعد إبراهيم حفاظاً على مشاعر القرشيين الذين سينكرون ذلك، وهم حديثو عهد بالإسلام، فترك ذلك رعاية لخواطرهم، وقرر العلماء لهذا وغيره من الأدلة أن المنكر لا يزال إذا خشى من جرَّاء إزالته منكر أكبر منه.

تم التدمير قبل وصول الوفد

لكن الوفد القطرى المصرى الذى تكوّن من: د. يوسف القرضاوى، د. نصر فريد واصل مفتى مصر، د. محمد الراوى عضو مجمع البحوث الإسلامية، د. ثقيل الشمرى رئيس محكمة الاستئناف القطرية، الشيخ عبد القادر العمارى نائب رئيس محكمة الاستئناف القطرية، د. على محى الدين القرة داغى رئيس قسم الفقه والأصول بجامعة قطر، المفكر الإسلامى فهمى هويدى، د. هيثم الخياط نائب رئيس المكتب الإقليمى لمنظمة الصحة العالمية، وأ. إبراهيم بن بكر الأمين العام المساعد للشؤون السياسية والمسؤول عن ملف أفغانستان بمنظمة المؤتمر الإسلامى، أ. عبد الرحمن الخليفى مدير إدارة الشؤون الآسيوية والإفريقية بوزارة الخارجية القطرية، وترأس الوفد أحمد بن عبد الله آل محمود وزير الدولة للشؤون الخارجية القطرية.. هذا الوفد عاد من قندهار بعد أن التقى بعدد من علماء وأعضاء

المحكمة العليا لإمارة أفغانستان – حسب التسمية الأفغانية – والمسؤولين عن شؤون الإفتاء.. وأعلن أن موضوع تدمير التماثيل لم يكن محلاً للحوار، حيث أن التدمير قد تم بالفعل قبل وصول الوفد.

لكن د. يوسف القرضاوى أكد للأهرام العربى أن الآثار الأفغانية لم تمسّ، وأن التماثيل هى التى تم تدميرها فقط.. وأن مسؤولى أفغانستان يعتبرون الآثار ثروة تاريخية يجب الحفاظ عليها.. قال :

طيبون ولكن !

التقيت بعلماء طيبين، لكنهم يعيشون فى الماضى، ولا ينتمون إلى الحاضر، ولا يعرفون شيئاً عن العصر ومشكلاته وقضاياه، فالعلماء المشايخ (الكبار) يعيشون على الكتب الصفراء وحدها، معتمدين على أقوال المتأخرين فى المذهب الحنفى، فهم لا يهتمون كثيراً بمقاصد الشرع، ولا قواعد الفقه وأصوله، فالفقه ليس مجرد حفظ المتون والحواشى، إنما الفقه هو النظر إلى مآلات الأشياء وما يترتب على العمل بها.. لكن الشباب من هؤلاء العلماء كانوا أكثر تفهماً لمنطقنا من الشيوخ! وقالوا: نحن فى حاجة إليكم فلا تتركونا فليس لنا تجربة.

الأمر أمامه عقبات

● وماذا عن مستقبل الفهم الإسلامى المحدود إذا ما تم تواصل بين علماء العالم الإسلامى وطالبان ؟

- الأمر أمامه عقبات ما تزال موجودة، لكننا لا نيأس، ونرى الأمل معقوداً على الجيل الصاعد الذى أصبح يقرأ ويطالع نتاج الفكر الإسلامى المعاصر.

● هل رأيتم إيجابيات لدى حركة طالبان يمكن أن تُجمِّل صورتهم أمام العالم ؟

- لقد عملوا أشياء جيدة مثل الأمن والاستقرار، فالناس هناك يأمنون على أموالهم فى الأماكن التى تسيطر عليها طالبان، والناس يطيعون الحكومة لأسباب دينية طاعة كبيرة.

● لكن الأفيون تجارة رئيسية تحدثت عنها وكالات الأنباء ؟

- لقد أكدوا لنا أنهم قضوا تماماً على زراعة الأفيون وبيعه وشرائه، وأصدر علماؤهم فتوى بتحريم ذلك كله.

- **هل تناقشهم فى تحريمهم لتعليم المرأة ؟**

- لقد نفوا ذلك وقالوا: إن لديهم (١٢٠٠) طالبة تتعلم الطب فى أفغانستان تخرجت (٤٠٠) طالبة منهم، وقد جاؤوا لهم بأساتذة – بعضهم إنكليز • يدرسون لهم الطب خاصةً، ولكن المشكلة فى كثير من جوانبها مشكلة مادية وليست مشكلة دينية.. وقالوا: إنهم لا يجدون أموالاً ليصرفوا على تعليم البنات، وقالوا: لقد جاء السفير البريطانى وطلب منهم تعليم المرأة، فقالوا له: نريد (٢٠٠) مليون دولار، يمكننا أن نوفر منهم مئة، هل تعطونا أنتم مئة مليون من الاتحاد الأوروبى الذى جاء السفير مبتعثاً منه؟ تركهم السفير ولم يعد !.

الدراسة بالمساجد مستقبلاً

روى لى فضيلة المفتى د. نصر فريد واصل أنه تقرر فى أفغانستان فتح الدراسة فى العام القادم من سن السادسة بشكل إلزامى أمام جميع البنين والبنات، وتخصيص المساجد كمدارس لاستيعاب أعدادهم.

لكن ذلك لا ينفى أنهم قوم متشددون، حين ضاقت عليهم أمورهم ولم يجدوا مالاً ينفقون منه على التعليم أمروا بتعليم البنين دون البنات.. وكانت إحدى مهام الوفد الإسلامى هى توضيح موقف الإسلام من تعليم البنات، ورؤيته فى أحقيتها فى التعليم مثل البنين، وكانت فكرة المساجد مخرجاً لتغير الوضع الحالى إلى وضع أفضل.

هل أعدموا التليفزيون

أمام إعدام التليفزيونات التى شاهدناها فى صور وكالات الأنباء فقد قالوا للوفد: إن اقتتال الفصائل دمَّر جهاز الإرسال فى أعالى الجبال الأفغانية، كما أن الكهرباء مشكلة فى أفغانستان، فلم يعد هناك داع لاستخدام التليفزيون، لكنهم أكدوا للوفد الإسلامى احتفاظهم بالأرشيف الإفغانى كاملاً بشرائطه وأجهزته حتى ينتهى الاقتتال الحالى بين الفصائل المختلفة.

إنهم ينفون الآخر

- إن لجوء علماء أفغانستان إلى التعامل مع مذهب فقهى واحد هو نفى للمذاهب الإسلامية الأخرى، كما أن تصميمهم على تدمير التماثيل رغم ما ألحقه ذلك من ضرر لدى مسلمى آسية حيث أحرق متعصبو الهندوس القرآن الكريم هو نفى للآخر.. ومع ذلك

التعصب لمذهب فقهى واحد فقد كشف الشيخ عبد القادر العمارى نائب رئيس محكمة الاستئناف القطرية عضو الوفد الإسلامى إلى قندهار أن هيئة الإفتاء والبحوث بالمملكة العربية السعودية التى يصدرها كبار العلماء، والتى ينسب إليها بعضهم هذا النوع من التفكير؛ بريئة من ذلك، حيث عثر العمارى على فتوى تحمل رقم (٣٢٠١) فى الجزء الأول من مجلدات الفتاوى تقول: " على ولاة المسلمين وأعوانهم هدم الأصنام إذا لم يخشَ من هدمها إثارة فتن لا يُستطاع إطفاؤها، فإن النبى ﷺ لم يُزل الأصنام التى كانت على الكعبة والتى بداخلها أول الأمر من دعوته إلى التوحيد وتسفيه أحلام المشركين لعبادتهم الأصنام، فلما قَوِىَ المسلمون أزالها عام فتح مكة، وإذا هدمت جاز أن نأخذ من أجزائها ما ينتفع به إذا أمنت الفتنة ولم يخشَ الضرر".

ومع ذلك فإن وزير الإعلام الأفغانى المولوى قدرة الله جمال؛ طفق يصرِّح لوكالات الأنباء والصحفيين بأن تماثيل باميان (وسط أفغانستان) أشياء من وحل وحجارة، وليس من حق العالم أن يتدخل فى القضية، فأى فكر أو فقه يوجه هؤلاء القوم!

الخروج من العزلة واجب

لكن الوجه الآخر للقضية عبّر عنه د. يوسف القرضاوى حين قال: " لقد سعى الوفد الإسلامى إلى أفغانستان إلى إخراج هؤلاء من عزلتهم التى فرضت عليهم من المجتمع الدولى، والحصار الجائر الذى ضرب عليهم، والحوار مع علمائهم حول القضايا الفقهية التى قد تختلف وجهة نظرهم فيها مع كثير من علماء الأمة.

ثم ناشد د. القرضاوى الأمم المتحدة وهيئاتها المختلفة، أنها كما عُنيت بحماية التاريخ والتماثيل القديمة وغضبت لها: أن تبدى مثل هذه العناية للبشر الأحياء، فكل يوم يموت لدى أفغانستان أربعمائة طفل من شدة البرد، كما أن أطفال فلسطين وأهلها جميعاً يعانون من قسوة الحصار وطغيان إسرائيل، وعتاة الصهيونية الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد، فلا يشك إنسان ذو قلب أن العناية بالأحياء أولى من الأموات، وأن الاهتمام بالبشر مقدم على الاهتمام بالجماد.

لكن زيارة الوفد الإسلامى الذى ترأسه د. القرضاوى ود. واصل لم تستغرق إلا اقل من (٤٨) ساعة"، حيث غادروا الدوحة فى السادسة من صباح ١١ من مارس، وعادوا إليها فى الثامنة من مساء الاثنين ١٢ من مارس.. ولما سألت عن أسباب العودة المبكرة قالوا: إن

الكهرباء لا تضاء فى مطار قندهار فهم فى حالة حرب.. وربما تكون الكهرباء غير موجودة أصلاً.. أليس توفير الكساء لأطفال يموتون من البرد، وتوفير الدواء لمن يموتون من المرض، وإيجاد سبل الإعاشة ومنها الكهرباء أولى لعلماء طالبان من الاهتمام بأمور مختلف عليها من الدين من حيث الأوليات والضرورات؟!

وإذا كانوا قد صرخوا بالشكوى من مقاطعة العالم الإسلامى خاصةً لهم؛ ألم يفكروا فى معرفة السبب – بعيداً عن السياسة – فيؤمنوا بأن فكرهم وفتاواهم ليس شرطاً أن تكون الأصح والأصوب دائماً، وأن من واجبهم أن يؤمنوا باحتمالية الصحة لدى الرأى الآخر !.

obeikandl.com